القائد آبو في بضع صفحات

مقدمة:

مثّل القائد عبد الله أوجلان فلسفة جديدة ،ورؤى جديدة ،بل طرحاً جديداً ،وبات مادة لمرجع مكثف لعلم التاريخ ،وعلم الاجتماع ،وعلم الإنسان والفنون.

وكذلك أصبح وثيقة مهمة ،ومؤسسة نظرية وعلمية ولها تأثيرها على أوساط واسعة جداً ،وعلى تطورات كبيرة في المجتمع.

لأن قيام الفرد بمسيرة ، وبعجن التاريخ والشعب ومزجه وتسييره إلى هذه الدرجة أمر يندر حدوثه، ولهذا فلا بد من القيام بتعريف سليم لهوية القائد (أوجلان) ،لأن التعريف الخاطىء يفتح المجال أمام مآس جديدة ،لتضيفها إلى الكبيرة القائمة سابقاً ،وفي ذلك خطر كبير يجب الحيلولة دونه ،لأن هناك أوساطاً واسعة تكوّنت لأجل استغلال هذا الموضوع ،وعدم وضع التعريف الصحيح يدخل في خدمة مصلحة أولئك ،ويجعلهم قادرين على مواصلة استغلالهم بكل راحة.

من هو القائد آبو؟!

نموذج القائد آبو مزيج من (الوطني ـ الديني ـ الطبقي ـ الاستراتيجي ـ الفلسفي ـ تطوّر إلى أن وصل ـ الكونية) لقد كان منذ نعومة أظفاره مختلفاً عن القادة ،والفلاسفة الآخرين ،لأنه استطاع الوقوف بوجه النماذج المزيفة من القيادة ،وقام بتطوير الإيديولوجية النظرية والممارسة العملية.

ينحدر القائد من أسره تسمى ب(مالا أوجي)، من عائلة كادحة فقيرة، تملك قطعة أرض صغيرة فالوالد (عمر) من عشيرة بيسكان ،وكان ذا شخصية مسالمة ،بسيطة ،مرتبطة بعقيدتها بنحو وثيق ومستقيم ،وصاحب شرف ،لا يسيء ولا يكنّ السوء لأحد ،ولو سنحت الفرصة له لما تردّد في الانضمام إلى ظهور تاريخي ،كان عرافاً ،فقد عرف شخصية ابنه أوجلان بدرجة كبيرة ،إذ قال له: "إن نمطك ينمّ عن شخصية الفاتحين" ،وأما الوالدة (عويش) ،فهي من عشيرة كيتكان، وهي نموذج لتلك المرأة القوية المسيطرة على الأسرة ،والتي لا تقبل بموقع أدنى من موقع الزوج ،بل كانت أكثر من ذلك فهي تمثل نضالاً اجتماعياً بنحو أكثر بدائية ،متولداً من التناقض

بين الرجل والمرأة ،حيث كانت تحدث توازناً قريباً من الوفاق أكثر من أن يكون على شكل هيمنة.

وكنية (أوجلان) فهي تنحدر من جدهم (أوج) الذي كان فارساً وكريماً ،وقد لعب دوراً في حماية المنطقة من الغزاة .

له أربع أخوات وهن: كل سن ، عينة ، وحواء ، وفاطمة.

وأخان اثنان وهما: محمد وأوصمان.

ولد القائد آبو في الرابع من نيسان عام ١٩٤٩ في قرية أمارا ،ناحية خلفتي ـ أورفا في مجتمع متّسم بالثورة ،إنها ثورة الزراعة ،هذه الثورة التي لم يمتلك فيها أية أهداف عشائرية أو طبقية أو وطنية ،وكمعارض عنيد واجه العادات والتقاليد البالية التي اتّسم به مجتمعه ،فقام بتجربة الحياة الجديدة التي تعايشها من خلال نمط ألعابه ،فكل لعبة لديه كانت تعني واقعاً ،فالقرية والأسرة تشكلان قيوداً ،وعليه التخلص منها ،لذلك أسس مجموعات الأطفال التابعة له بجهد خارق ،والطفل الذي كان يلعب معه أكثر من الآخرين ،ويثبت تفوّقه ،يكون العضو الأغلى والأثمن في تنظيمه الطفولي ،دون أن يفرّق في ذلك بين العدو والصديق ،لأنه كان مبدئيّاً في تصرّفاته على هذا الصعيد إلى أبعد الحدود.

وكان يعتمد في نظام لعبه هذا على مبدأ آخر ، وهو عدم التفريق بين الجنسين، فالفتيات اللواتي كنّ ذات قدرات مميزة في الألعاب ،كان يلحق بهنّ على مدى شهور لأجل شدّهنّ إلى اللعب ،

فرغم صغر سنه ،كان يصاب بالدهشة والاستغراب إزاء زواج الفتيات المبكر.

وإلى جانب كل هذا فإنه كان لا ينسى صلاته ، فكان يقيمها لوحده أحياناً ،وأحيانا أخرى يقوم بدور الإمام للجماعة، فالدين كان تقليداً مهماً راسخاً في القرية ،والذي لعب دوراً مهماً في تكوين شخصيته الشكّاكة ،التي كانت تدفعه في تركيز تفكيره على الإله من حين لآخر لدرجة الاختلاج والجنون ،وبقي متأثراً بالدين حتى عام ١٩٦٩ ،وقد حفظ وقتها أكثر من ثلاث وثلاثين سورة قرآنية ،وهذا ما دفع إمام الجامع أن يقول له: "إذا استمريت هكذا ستطير".

ذهاب عبد الله أوجلان إلى المدرسة الابتدائية:

ذهب أوجلان الطفل إلى المدرسة الابتدائية ضمن مشاعر مختلطة حيث قابلها بروح قلقة ،ولكنّه كان مدركاً تماماً بأن سبيل التعالي والسمو الوحيد لا يمران إلا عبرها، فكان من التلامذة المتفوقين بدءاً من أول دخول له في المدرسة ،وانتهاء بآخر سنة له في الجامعة.

ومدرسته الابتدائية تقع في قرية (جبين) ،وهي قرية أرمنية قديمة تمّ تتريكها في مرحلة الجمهورية ،والتي تبعد عن قريته سير ساعة على الأقدام ،ولهذا فكان يقطع هذه المسافة سير ساعة ذهاباً ،وساعة إياباً ،وعلى مدى خمس سنوات دون أن يعبأ بهطول المطر ،أو بتساقط الثلوج وقطع هذه المسافات الطويلة ما علّمه إلا المزيد من الصبر والمزيد من التقدير بقيمة العلم.

في تلك المرحلة ظهرت بعض العقبات أمام طريق صعوده ،ومن أبرزها ـ بل لِنَقُل ـ من أكبرها كان الشعور بالكردية ينمو في وعيه الباطني، وبالمقابل فإنه كان يسمع كلاماً من قبيل (الكردي

المُذنَّب) ،وكانت تصله كلام الشوفينية بالتدريج ،ولكنّه استطاع تجاوزها بفضل أساتذته وقوة شخصيته ،وشعب قرية جبين المتفاهم بنجاح ،وقد استطاع أوجلان الطفل ، وفي تلك المرحلة المبكرة من عمره أن يؤسس علاقات مع القرى التي تتحدث التركية دون أن تنزلق إلى الشوفينية .

في السابع والعشرين من أيار عام ١٩٦٠ ،حدث انقلاب ترك عليه أثراً كبيراً في مرحلته الابتدائية ،وكذلك ترك أثراً في حياة القرية ،فهذا الانقلاب طوّر الاهتمام السياسي الجاد لديه، لأنه ،ولأول مرة أدرك أن الجيش هو المصدر الأساسي للقوة ،وإعدام (عدنان مندريس رئيس الحكومة التركية) ترك لديه انطباعاً قوياً ،وهو أن الجيش يشكّل قوة الدولة ،ولهذا فقد اقترح على زميله في المدرسة (عزيز) بأن يكون قائداً للقوات البرية ،وأمّا هو فسيكون قائداً للقوات الجوية ،وبذلك سيحققان الأفضلية ،وبالتأكيد هذا الموقف قد ترك تأثيراً فعالاً في التطور الثوري لدى (أوجلان) في المراحل اللاحقة من عمره ،لأن القوة والتغيير أصبحا لديه طموحاً تأثيراً كبيراً لا يفارقه.

كان (أوجلان) الطفل ،طوال إقامته في القرية فلاحاً جيداً ،وصديقاً للحيوانات ،ينظر إلى أعمال الزراعة والحصاد على أنها أعمال مقدسة تشبه العبادة ،والاهتمام بالحيوان كان ذوقاً بالنسبة له والاهتمام بالشجر وتبرعم الكروم وذبولها كانت مقدسة لديه ،فهو يهتمّ بالأغذية والعنب ،وثمار الأشجار ،ولا يرمي الخبز أبداً ، وبخاصة إذا كان من دقيق القمح .

هو ملك لنفسه ،يرفض ادّعاءات والدته بامتلاكه ،فالتناقضات معها كانت كثيرة وكبيرة ومع ذلك فقد استطاعت هذه الأم الجبروت في شخصها أن تؤسس توازناً حاسماً في شخصه بشموخها وإبائها ،ذلك التوازن الذي شكّل الأرضية المناسبة لنشأته الحرة ،أما ادّعاءات والده لامتلاكه فكانت محدودة ،وإخوته فقد كان على تناقض دائم معهم بشأن إنجاز الجودة فيما يقومون به من عمل، ولهذا فكانت تحدث بينهم اشتباكات ،ولأن الأسرة كانت بعيدة عن علاقات المجتمع الأبوي فهذا شكل فراغاً في حياته، ولسدّ هذا الفراغ توجّه إلى أخواله لأنه قد رأى فيهم مصدراً للقوة ، فقدرتهم على زعزعة السلطة في القرية شكلت سبباً رئيسياً في قدرته على معاندة كل القرية بظروفها .

التمرد الأول في حياة (أوجلان):

حصل الابتعاد الأول الجاد عن القرية والأسرة بتمرد (أوجلان) الطفل داخل الأسرة ،وهذا التمرد كان الأول في حياته ،حدث إثر شجار نشب بينه وبين أخيه الأصغر (محمد) الذي دخل إلى الكرمة ،وخرّب ما قد كان رتبه بجهد وحرص شديدين مما دفعه إلى اللحاق به ورميه بالحجارة وعندما اعترض أبوه على ذلك ، دخل معه في شجار عنيف بالحجارة، وعندها فهم بأنه لم يعد قادراً على البقاء في القرية من الحياء ،لأن شجاره مع والده كان موضوعاً للاستهزاء في القرية ،ولذلك خرج منها بغضب وحزن شديدين ،قائلاً لنفسه:" لن أعود اليك ثانية" ،وهذا الخروج منها ، بل الابتعاد عنها ،كانت بالنسبة إليه الابتعاد الجاد عن الثقافة التي سادت على مدى آلاف السنين ،وهنا دخل في مرحلة البحث عن الجديد ،لأنه توجه إلى (نيزيب) حيث تقيم أخته حواء ،وفي اليوم الثاني خرج مع بعض الأقارب إلى سهل (باراك) لحصاد القمح ، وكسب عشر ليرات ،وهذه الليرات العشر شكلت خطوة أولى لإثبات ذاته ،فها هو يستطيع العيش دون الاعتماد على أسرة، أو قرية.

عاش (أوجلان) الطفل في (أمارا) بين أحضان الطبيعة وكيف لا؟! وهو عاشقها ،ولذلك فلم يكن يتأخّر لحظة لأخذ أطفال القرية معه إلى حيث يحب ،إلى الجبال والبراري ولأنه كان يصاحب أطفال القرية معه فأهلهم قد أخذوا منه موقفاً واضحاً وصريحاً ،حيث كانوا يقولون: "لا جعل الله ابن أحد مثل ابن عمر ،إنه مجنون الجبل ولا يرتجى خير منه".

تلك الفكرة كانت السائدة عنه، ولكنه بتفوقه المذهل في المدرسة استطاع أن يرفع خيبة الأمل عنه بجدارة.

فشخصية (أوجلان) الطفل لم تكن شخصية طفولية اعتيادية ،بل كانت شخصية قيادية ،قائمة على الفكر ،والتخطيط ،والتحدي ،والرفض التام للشر والظلم ،هذه الشخصية الطفولية العنيفة التي أظهرها أثناء مواجهته لشرور الطفلين الشقيقين(جمو ومحو) ،هذان الطفلان اللذان ملأا القرية بشرهما وآثامهما ،ولكنه وبتخطيطه ،ودهائه استطاع أن يلقّنهما درساً بنحو كفّ خطرهما عنه وعن غيره .

بدأت هذه الشخصية التمردية بالنمو ، والنضوج متأثرةً بوالدته التي كانت تدافع عنه وتفتخر به وتمدحه ،وبدأت تُصقل على شكل طراز قوي للمواجهة على نمط جعل أمه تجيب بهذه الحقيقة على سؤال وجهه إليها قائد اللواء في أورفا قائلة :" لقد بذلت جهوداً كبيرة لإبقائه جاثما عند ركبتي ،ولكنني لم أفلح".

الدراسة الإعدادية والثانوية تشكلان المرحلة الثانية في حياة القائد :

بدأ القائد (أبو) دراسته الإعدادية عام ١٩٦٣ (نيزيب)، كان آنذاك تلميذاً محبوباً ،مجتهداً ومُقدّراً لأساتذته ،لهذا فقد استطاع أن يشدّ انتباههم ،ويكسب ثقتهم ،ويحصل على الدرجات المتفوقة ،وبعد الدراسة الإعدادية ،فضّل مواصلة التعليم في الثانوية العامة وليس دار المعلمين ، ولصعوبة الحصول على المال اللازم كان الخيار المتبقّي أمامه هو إما الثانوية المجانية أو الأكاديمية المهنية ،ورغم أن رغبته الأساسية كانت الثانوية العسكرية التي لم يلتحق بها لعدم تطابق عمره مع السن المحددة ،ولكونه كرديٌ ،وقد نجح في ثانوية المساحة والطابو المهنية وهذا النجاح كان بمثابة مرحلة عبور بالنسبة له ،لأن هذه المدرسة كانت في مركز أنقرة ودرس فيها بين عامي ١٩٦٦-١٩٦٩ ،ونجح في صفوفها كاملة ،وكانت الإيديولوجية الدينية هي الغالبة عليه حتى الصف الثاني الثانوي ،ولهذا فقد استمر في تكوين جماعات الصلاة في الثانوية ،وفي تلك المرحلة ذهب إلى جمعيات القوميين المتطرفين وجمعيات محاربة الشيوعية ،واستمع إلى (سليمان ديميريل) ،وكان لأستاذ مادة الآداب (فاروق جاغلايان) الذي كان أستاذ في المدرسة البحرية أيضاً وبرتبة مقدم دور كبير ، بل شكّل منعطفاً بارزاً على طريق ثقة القائد بنفسه ، وذلك لشدة اهتمامه به وبمواضيع الإنشاء التي كان يكتبها آنذاك.

تطور اهتمام القائد آبو باليسار بالسنة الأخيرة من دراسته الثانوية ،وأصبح منضماً إلى اليسار عملياً بانضمامه إلى جنازة رئيس المحكمة العليا (عمران أوكتم) و- وقتئذ - تحول عقله إلى مركز للشكوك تماماً ، فمجرد التأييد لليمين أو اليسار لم يكن يشبع رغباته ،بل أصبح جائعاً من الناحية الإيديولوجية، فلم يكن يستطيع الاكتفاء بالشعارات.

عمل القائد (آبو) في ديار بكر ،والتحاقه بالجامعة:

بدأ القائد (آبو) عمله في ديار بكر كموظف فني في دائرة المساحة والطابو عام ١٩٧٠ ،ولأول مرة بدأ يكسب أموالاً طائلة ،ولأن ديار بكر مدينة كردية تماماً ،فالوطنية كانت تفرض نفسها بنحو أثقل ،ولذلك فالنقاشات القومية الكردية انضمّت إلى النقاش اليساري ،حصل القائد (آبو) على شهادة النجاح من ثانوية(ضياء غول آل) ،ودخل كلية الحقوق في جامعة أستانبول ،ثم نقل وظيفته (إلى باقركوي) في أستانبول للدراسة والعمل معاً ،وأصبح عضواً فعالاً في (DDKO) (جمعية الشرق الثورية للثقافة) ،وهناك تعرف على شخصيات مثل (موسى عنتر وحكمت قفلجملي) من السياسيين ،وموسى عنتر كان بمثابة الروح ل(DDKO) ،وفي الأيام الأخيرة من السنة ،وقبل أن يتحول إلى شخص متوارٍ عن الأنظار ، استمع إلى (ماهر جايان)شخصياً في جامعة أستانبول التقنية (ITU)حيث قال:"إن الإصلاحية حقيقة ،ويجب مناهضتها ولا يمكن التستر على القضية الكردية ،ويجب قبولها، أما إذا صممت الانتهازية على مواقفها فيجب قطع الروابط معها" ،هذا الكلام دفعه إلى التعاطف مع اليسار ،وفي عام ١٩٧١-١٩٧٢ حوّل دراسته إلى كلية العلوم السياسية ،وبذلك حقق رغباته ، وتعلم السياسة في كلية العلوم السياسية ،وعندما استشهد (ماهر جايان) ورفاقه ،قاد الإضراب مع رفيقه(دوغان مورتونا) ،مما أدى إلى اعتقاله لمدة سبعة أشهر ،ونظراً لعدم توافر الشهود تخلص من عقوبة قد تصل إلى خمسة عشر عاماً ،وعندما خرج من سجن (ماماك) مع نهاية عام ١٩٧٢ قام بإعداد نفسه لأجل تأسيس مجموعة مستقلة تماماً.

تأسيس حزب العمال الكردستاني ،والخروج من الوطن:

في نوروز ١٩٧٣ تم عقد أول اجتماع للمجموعة المتكونة من ستة أشخاص في أنقرة بالقرب من سد (جوبوك) حيث تناولت أطروحة (كردستان مستعمرة) أساساً لها وفي السنة الأولى انضم إلى المجموعة رفاق من أصول تركية ،وهم(حقي قرار، وكمال بير، ودوران كالكان) ،وفي عامي ١٩٧٤-١٩٧٥ قام القائد (آبو) بمهام رئاسة (ADYOD) (جمعية التعليم العالي الديمقراطي في أنقرة) ،وبالإنقطاع عن اليسار التركي بصورة جذرية عام ١٩٧٦ .

أُتّخذ قرار بالانفتاح على كردستان ،فتقرر في الاجتماع الذي عقد في (ديكمن) عام ١٩٧٦ إرسال حقي قرار إلى (أكري)، ومظلوم دوغان إلى (باطمان) ،ومنذ ذلك الوقت تمت تسميتهم ب(الآبوجيين) .

وأُتخذ قرار بتأسيس الحزب في الاجتماع الذي ضم ثلاثة وعشرين شخصاً في قرية(فيس) وذلك بعد استشهاد الرفيق حقي قرار في عنتاب عام ١٩٧٧ ،وبانقلاب (١٢ أيلول) لم يبقَ أمام الرفاق سوى الخروج من الوطن أو اللجوء إلى الجبال ،ولكن باعتقال (شاهين دونمز) و(يلدرم ماركيت) ،واستسلامهما واعترافاتهما تم اتخاذ قرار الانفتاح إلى الشرق الأوسط في الثاني من تموز عام ١٩٧٩ .

الانفتاح إلى الشرق الأوسط ،وحيرة القائد كشخصية وطنية واجتماعية :

بعد خروج القائد(أوجلان) ورفاقه من الوطن ،سيطرت عليه حيرة كشخصية وطنية واجتماعية لأنه لم يكن مستعداً لهذا الوضع ،فتركيا في أعوام ١٩٦٠-١٩٨٠ لم تشهد نمواً على الطراز البرجوازي ،وهويته الثورية كانت تتميز بالمغامرة وتفتقر إلى القيادة ،ولا تحمل نهجاً واضحاً ، ولم يكن يستطيع وقتها أن يستوعب مؤسسات الجمهورية بصورة متكاملة ،فالمقاييس بينهم كانت مختلفة تماماً ،والتعليم الذي تلقّاه كان شفوياً ،ولا يستهدف سوى إنقاذ الوطنية ، وقيام الجمهورية

التركية بإنكار الهوية الكردية ،وكأنها تقول: "إنني سأنحتك بالمبرد ،وأعطيك الشكل الذي أريده".

كل هذا جعل القائد (آبو) في حالة قلق وحيرة ،وكان من الطبيعي أن تقوم شخصية كانت ولادتها وسط المشكلات بالاعتراض ،ومحاولة المقاومة في وجه نظام ينكر وجوده ،ووقعه على النفس أشد من الكابوس ،وتنزلق هذه الشخصية إلى الشكوك والقلق ،وإلى النظر في سبب إنكارها ،ومحاولة الوصول إلى أسباب ذلك ،والقيام بمساءلة المجتمع الرسمي والدولة ،والمزايا التمردية التقليدية ـ وقتئذ ـ ستكون مساعدة لأجل دوغمائية متطرفة ،ولمواجهة مثل هذه الحقيقة، لا بدّ من البحث عن سبل الوفاق مع الجمهورية التي باتت تعتمد على الإنكار ومص الدماء والحل الوحيد للتجاوب بات الرد بالعنف على العنف ،فإما الاستسلام الكامل ،أو ستظل المقاومة سبيلاً وحيداً لمواجهة هذا الوضع ،ولكن ومهما كانت المقاومة بطولية ،فهي لن تتجاوز أسلوب الطرق الصوفية المتمثلة في (بدر الدين وبير سلطان عبدال) ،وما عاقبة هؤلاء الثوار الأتراك (دنيز كزميش ،وماهر جايان ،وإبراهيم قيبا قايا) بسبب أفكارهم عن أخوّة الشعوب ،وحق الأمم في تقرير مصيرها ،بما فيه انفصال الشعب الكردي ،وتشبثهم بها حتى على منصات الإعدام إلا دليل على ذلك الواقع ،والعنف الثوري الذي تصاعد قبيل الثمانينات لم يكن سوى تكراراً متطرفاً لما سبق.

وهذه الحيرة لم تتناوله على الصعيد الوطني والاجتماعي فحسب ،بل على الصعيد الفردي كشخص ،فكان لا بد له من العزلة المتعمقة للوصول إلى كيفية خلق هوية كردية وجعلها أملاً للتمسك بها ،ووضع سياسة لإقامة تنظيم باسم(كردستان) بألا يعني الانفصالية استراتيجياً، بل وسيلة تكتيكية للوحدة الحرة ، فالانفصال كان ضرورياً حتى تحدث الوحدة ،ولكن هناك واقع مرير من التشتت والتشرذم ،ولمواجهته لا بد من استهداف الجمهورية شكلاً وليس في الجوهر، وذلك لأن ظاهرة الجمهورية وقتها كانت تلقي بتأثيرها عليهم ،فهي لا تقبل الهوية الكردية ،بل تلجأ وبكل الوسائل إلى دفن الهوية الكردية ،والعمل الوحيد الذي كان بإمكان القائد(آبو) مع الرفاق القيام به ،هو النهوض بالوعي الطبقي والهوية الثقافية لمحاولة الإفادة من الإمكانات الكردية لأجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه فالوضع ـ وقتذاك ـ كان معتماً بل مظلماً ،كان أشبه بالسير في وسط غابة مجهولة متوحشة تماماً ،ولم يكن أمامهم إلا حلان ،فإما الاستسلام للجهل والإنكار السائد، وإما التصدي ،ولا يمكن حدوث أي تطور تاريخي غبير ذلك.

وبناء عليه ، وعلى الرغم من أن كل الظروف المادية كانت مضادة لPKK إلا أنه لا يمكن الوصول إلى كردستان حرة مستقلة إلا من خلال جمهورية ديمقراطية .

التكوينات الثلاثة في حياة القائد عبد الله أوجلان ونشاطه في الشرق الأوسط :

كان التكوين الأول حقيقة ،بحسب ولادة أو خلق شعب محارب ،فالجوهر الإيديولوجي والنهج السياسي لحركة التحرر الوطنية والقضية الوطنية يعبّرعن ضبطها بحسب الظروف الملموسة لهذا فقد كان من المهم تأسيس النظام الإيديولوجي اللازم للشعب الكردي بجهوده العملية وبقدرته الفكرية من دون اللجوء إلى قوى وقوالب الاشتراكية المشيّدة ،وقد تحقق النجاح لهذا التوجه، أو لهذه المهمة في السنوات والمرحلة والظروف التي تواجد فيها القائد(آبو)في تركيا ، أما في المرحلة الجديدة فقد تم تنوير الطريق أمام حركة التحرر الكردية ،وتحديد المسار الذي يجب السير عليه ،فهذه المرحلة تصاعدت حتى عام ١٩٨٠ لتصل إلى الذروة في ٣٠

تموز ١٩٨٠ بعملية (سيورك ـ بوجاق) وهذه النقطة تعبّرعن نهاية مرحلة وبداية مرحلة أخرى في الوقت نفسه.

أما الذي تمّ خلقه على مستوى الشرق الأوسط ،فهو أن الشعب يرد بالحرب على العلاقات، والإيديولوجية الرجعية ،وقوى القمع الداخلية ،ولأول مرة يسير الشعب الكردي على الطريق الذي تحدده مصالحه بإرادته الحرة ،ولأجل الوصول إلى حقه في الحياة الحرة.

وكانت قفزة ١٥ آب التي نحتت في ذاكرة التاريخ بأنها الدفاع الذاتي لواقع شعب أرادوا أن يخنقوه تماماً ، وإن كانت على شكل هجوم إلا أنها كانت بمثابة تحذير: "إنني شعباً فلا تُبدْني" ، وبخاصة بعد ردود الفعل المتصاعدة ضد الوحشية التي تمت ممارستها في سجون ديار بكر وجاءت بمعنى "نحن لن نتخلّى عن وجودنا" ،فكانت أشبه بصرخة مدوّية من السجون ،ولاقت التجاوب معها ،فصرخة (مظلوم دوغان): "يجب أن يسمع العالم صوتنا" ،وصرخة (محمد خيري دورموش): "لا يمكن أن تنكروا وجودنا" ،وكذلك قول (كمال بير): "إنني أرى أن خلاص وتحرر الشعب التركي يمر عبر حرب تحرير الشعب الكردي" ،فهو يرى بذلك أن ثورة كردستان هي ثورة الشرق الأوسط ،وبهذا فقد جاءت هذه الحرب لتجعل من تلك الصرخات معنى ومضموناً .

ومهما كانت الآلام والخسائر كبيرة ،كان لا بد من التصدي لنظام القمع والصهر القسري لدرجة إنكار الوجود ،وتمزيق النظام من خلال حرب دفاعية يحياها الشعب ،ويشعر بها حتى النخاع ،وبناء عليه فإن الحرب التي خاضها الشعب الكردي ضد القوى الداخلية والخارجية والرجعية التي استهدفته في واقع الشرق الأوسط ،كانت حرباً مقدسة لأجل تحقيق الاستمرار لوجوده وتحرره .

أما التكوين الثاني فهو خلق الكادر الحر ،فالشعب المحارب يحتاج إلى الكادر المحارب ،حيث كانت الكادرية في ظروف تركيا عميقة ودوغمائية ،والمتوافر لدى (PKK) هو القليل القادر على التفكير المحدود ،والممارسة التي لا تتجاوز عدة حفنات من البارود ،ولا يمكن خوض حرب شعبية بما هو متوافر ،ولا بد من خلق قوة إيديولوجية تتحلّى بالصبر والجرأة ،فصبّ القائد (آبو) أغلب وقته وجهوده حول خلق كادر الحرية ،هذا الخلق الذي كان كالمعجزة التي أنبتت فرعاً أخضر من غصن يابس، حيث تم خلق كوادر الحرية من أفراد شعب كانوا محاربين ضد أنفسهم ،كانوا مفتقرين إلى قوة التفكير ،ومتغذين على الرجعية ،وبالتأكيد فهذا العمل كان من أصعب الأعمال التي تتطلب مهارة فائقة ،ولهذا فقد أقيمت مئات الدورات التدريبية المتتالية وعشرات الآلاف من الحوارات والأحاديث الخاصة في سبيل الوصول إلى كادر الحرية.

والقائد(آبو) كان مدركاً حينها بأن مهمته كبيرة وصعبة ،ويعلم بأن ما يقوم به هو أشرف وأنبل عمل ،والموت في سبيل ذلك لا يتجاوز وزنه الريشة مقارنة بثقل ما يقوم به ،ولكن كان لا بد من القيام بذلك لأجل تجاوز التاريخ الملعون ،وإعطاء عدة سنوات لتاريخ الحرية بنحو صحيح وتثمين ذلك بشكل عال.

فخاض القائد آبو عملاً كادرياً ،وقدّم تضحيات لم يقدمها أي فيلسوف ،أو نبي ،أو عسكري، أو سياسي من حيث النوعية والكمية على مدى التاريخ.

أما التكوين الثالث ،فهو النشاط الأسطوري في الشرق الأوسط ،والذي يتعلّق بتحرير المرأة وهذا الإنجاز من أصعب الإنجازات ،لأنه العمل الأثمن ،والأكثر ضرورة وأولوية من أي عمل آخر.

فالمرأة تمثل طبقة تعرضت للسحق الجذري قبل كل شيء من قبل النظام العبودي والرجعي من حيث الجنس ،والطبقة و الأمة ،فظاهرياً تبدو هذه الممارسات على شكل تمييز بين الجنسين واللا مساواة والقمع ،أما باطنياً فهذه الممارسات تظهر بأن المرأة كانت الضحية الأولى للهيمنة الاجتماعية والسياسية ،بل الضحية الأولى للعبودية واللامساواة التي تم فرضهما على البشرية .

فالمرأة ـ وبعد استعبادها- تحول بيتها إلى مطيع مروض ،وبعدها جاء الدور إلى المجتمع الطبقي والدولة الطبقية ،أي بعد أن قام الرجل الظالم الكاذب بإسقاط المرأة ،واستمد من ذلك الجرأة ليقوم باستعباد الناس الآخرين من أبناء جنسه ،وأسرهم وسحقهم ،هذا الرجل الظالم الكاذب قام بسحق المرأة جنسياً وأبادها فيزيائياً وأباد معها ذكاءها ومشاعرها ،وفرض عليها الانحطاط بعمق ،فتحامل القائد على هذه القضية ،قضية المرأة ،بكل قوة استمدها من تعطشه إلى الحرية ،فأجرى تحليلات كثيرة وحوارات كثيرة ،أحاديث عميقة لا كمالك أو صاحب لها ،بل كفنان تناول الجانب الجمالي الفيزيائي وإمكانية تحولها إلى ذكاء متّقد ،وحاول جاهداً أن يظهر لكل الأوساط ،وفي مقدمتها (PKK) ،بأن حرب المرأة أمر لا يمكن الاستهانة به ،أو الإقلال من شأنه .

وإلى جانب كل هذا فللقائد عبد الله أوجلان أنشطة أخرى في الشرق الأوسط ،وبخاصة على الصعيد الدبلوماسي وذلك لإعلاء شأن الشعب الكردي الذي وصل إلى مستوى الانحطاط الكبير نتيجة للديبلوماسية الكردية المتواطئة ،فالقضية ليست ممارسة الديبلوماسية مع الشرائح التي تبدو كبيرة على الصعيد الرسمي ،بل المطلوب هو إشعار كل المنطقة ،والقوى العالمية بأن شعبنا ليس وسيلة رخيصة للتجارة ،ولا يتحول إلى آلة للمؤامرات والألاعيب السياسية ،ووجود وحرية الشعب الكردي لن يكونا موضوعاً للمساومات ،وعلى الأعداء والأصدقاء إدراك حقيقة هذا الواقع ،وقد ألقى خطوات على هذا المسار،حتى لو كانت هذه الخطوات محدودة ،ولم تؤدِّ إلى إبرام معاهدات برّاقة باسم الشعب الكردي ،ولكنها رسّخت في أذهان وقلوب الأصدقاء و الأعداء بأن الكرد مصممون على الحياة الحرة ولن يتخلوا عنها ،وهم متمتعون بالجرأة اللازمة ومستعدون لتقديم التضحيات اللازمة لذلك إذا تطلب الأمر،وأصبح ذلك معاهدة معلومة في الأذهان ،وحتى لو لم تكن معاهدة مدونة.

وأيضا فقد تمّ الوصول إلى مرحلة تأسيس الأكاديميات الوطنية المختلفة حتى لو كان ذلك على نطاق محدود ،وبدأت مرحلة تأسيس المدارس المنتشرة لأجل الشعب وطليعته ،حيث وجب تحويل كل منزل ،وكل ساحة إلى مدرسة، فانتشرت تجربة (أكاديمية معصوم قورقماز) في كل ساحة ،وكل مجموعة من إنساننا ،وبذلك توافرت الأرضية اللازمة لتأسيس نظام أكاديمي ليس لأجل الشؤون العسكرية والسياسية فقط ،بل لأجل التاريخ واللغة والفنون ،وبذلك تم ترسيخ الأسس الذهنية ،لأن مرحلة النظام الأكاديميات شكّل مرحلة تاريخية على صعيد وجود الكرد الثقافي وحريته.

وكما يقول القائد (عبد الله أوجلان): "لم نكتفِ بخلق خيال الحرية التي خطت خطوات على أرض الواقع لأجل شعبنا وأصدقائنا في واقع الشرق الأوسط ،بل عملنا على توفير الأسس التاريخية التي تعتمد عليها تلك اليوتوبيا ،وقدّمنا إمكانات التحرر التي تحقق النجاح لذلك ،فبينما

قامت الشعوب لتأسيس يوتوبياتها على مدى عشرات القرون ،قمنا نحن بخلق أسس وأرضيات النجاح لذلك خلال عشرين وثلاثين سنة.

أبرز أطروحات القائد عبد الله أوجلان:

أبرز ما طرحه القائد هو البحث عن السلام ،وممارسة النقد والنقد الذاتي ،هناك مقولة عامة وصحيحة وهي(لكل حرب سلامها) ،أي مهما كانت هناك أسباب ووسائل وأهداف للحرب فهناك أيضا أسباب ووسائل وأهداف للسلام ،فالسلام هو نمط الحياة الذي يشهد أكثر أشكال السياسة كثافة فيما قبل وبعد الحرب ،بل هو مرحلة غير مستقرة بين السياسة والحرب وهو نظام القيم المعنوية الذي يتم خوض الحرب في سبيله للرغبة الجامحة للمجتمع ،وهو ظاهرة ديناميكية لها علاقة وثيقة مع الحرب ،فالذي لا يخوض الحرب لا يمكن أن يكون له سلام ، وعلى العكس فالذي لا يفهم من السلام لا يمكن أن يفهم من الحرب إطلاقاً ،فقفزة ١٥ آب التي حققها (PKK) والمرحلة اللاحقة لها والتي أسماها المسؤولون في الجمهورية التركية على أنها أكبر ممارسة إرهابية ،أخذت منحىً عميقاً للبحث عن السلام ابتداء من عام ٢٠٠٠ فالقضية الكردية أصبحت ظاهرة تتضمن أكبر تراكم للعنف والتقييد الثقيل الذي تعيشه ،لقد حدثت تمردات على مدى قرون بسبب هذه القضية ونتيجة عدم وصول هذه التمردات إلى السلام العادل المشرف ،فقد سادت أجواء(اللا حرب واللا سلم) فوضع اللاحرب واللاسلم هو الطراز الأشد ظلماً وقسوة لتسييد المجتمعات ،لأنه يعرّض شعباً ضعيفاً إلى الاستغلال والقمع.

وللأسف فإدارات الشعوب الحاكمة في الجغرافيا التي يحيا فيها الكرد تعمل بهذه السياسات ، فتقوم بممارسة وتطبيق حالة الطوارئ وإدارة عرفية ،أو أزمات بنحو مستمر حتى كاد هذا الطراز هو الحاكم على مدى القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

والممارسة التي تكاثفت حول (PKK) ليست سوى ممارسات لأجل إبراز وضع (اللاحرب واللاسلم) ،وهنا يجب عدم الخلط بين الممارسات التي حدثت حول (PKK) أي الحرب التي تم خوضها ،وبين حركات التحرر التقليدية وحروبها ،أو بينها وبين التمردات الثورية، لأن (PKK) قد خاض حرباً على مدى عشرين سنة تقريباً ،وبعدها عبر إلى وضع الدفاع المشروع عن الذات، ،خاض هذه الحرب في وضع (اللاحرب واللاسلم) ،هو مسلّم تماماً بأنه وضع لا إنساني وهو ينطوي على مخاطر كبيرة ،ويخدم مصلحة القوى التي لا ترغب في أجواء السلام والتقدم خاض هذه الحرب وهو مقتنع كل القناعة بأن مصلحة الشعب الكردي تكمن في سلام مشرف وفي تفعيل النظام الديمقراطي ولكنه مجبر للجوء إلى وضع الدفاع المشروع لمواجهة كل من ينكر وجوده ،ولا يعترف بالتعبير الحر عن وجوده الثقافي لأن وضع الدفاع المشروع سيظل قائماً كحق منحته الحقوق الكونية ،إلى أن تقبل الدولة بوجود الشعب الكردي ،وتعترف بحق حرية التعبير عن قيمه الثقافية ،وتوفير الإمكانات اللازمة وتفعيل وترسيخ النظام الديمقراطي ، وتزيل الظلم لأن إزالة الظلم هي من الشروط الأساسية لتحقيق السلام ،وإذا لم تقم الدولة أو الدول بتوفير الشروط الدنيا لتحقيق السلام للشعب الكردي ،فالمهمة التي تقع على عاتقه وطليعته هي خوض حرب دفاعية مشروعة شاملة ،حتى لو استمرت مئة سنة ووجب عليه ضبط الساحة الجغرافية المناسبة ،وعلاقات الصداقة ليكون جاهزاً لتلبية متطلبات الدفاع المشروع.

وقد قام القائد(آبو) بجهود كبيرة لتحقيق السلام ،وهذه الجهود التي قوبلت بمؤامرة دولية بشعة ضده ،هذه المؤامرة التي تعتبر أكبر مؤامرة دولية في التاريخ البشري ،والتي تمت في العقد الأخير من القرن المنصرم ،وبدأت خيوطها الأولى في التاسع من تشرين الأول عام ١٩٩٨

بخروج القائد من سوريا والتوجه نحو الساحة الأوروبية التي كشفت عن أنيابها ونياتها وأرادت أن تحقق أهدافها التي لا تعد ولا تحصى ،فمن تصفية حزب العمال الكردستاني هي تصفية الثورة الكردستانية ،ومن ثم الاقتتال التركي الكردي والتحكم بالشرق الأوسط وبالتالي سيطرة النظام الجديد في العالم والقضاء على آخر رموز الثورة والاشتراكية .

هذه هي الأهداف التي أرادت أن تحققها تلك الدول المتآمرة التي أكملت حياكة خيوط مؤامرتها في ١٥ شباط ١٩٩٩ بتسليم القائد(أوجلان) إلى تركيا ولكن القائد (آبو) اتخد إزاءها موقفاً تاريخياً لائقاً بالرفاق ،والأصدقاء والشعب ،وذلك من خلال اتخاذ مقاومة رفاق السجون أساساً، وبعد اللقاء مع الضابط التركي والنقاش معه ،طرح القائد الحل السياسي الديمقراطي(نموذج سويسرا كطرح) أي إفراغ المؤامرة واحتواءها من خلال التعمق في الذهنية ،وتنظيف الفكر من تأثيرات الحداثة الرأسمالية ،وإيجاد نظام بديل لها وتطويره ، فأتى هذا التعمق في سجن إمرالي على أساس فلسفة (الحياة الخاطئة لا تعاش بصواب) والأمور التي لا حياة لها غير ضرورية (ضمن الأيديولوجية والفلسفة) مثل (السلطة ،الدولة ،الدوغمائية) وبذلك فالقائد قد حول المؤامرة الدولية إلى قفزة عظيمة وميلاد ثالث ،أي خلق قيادة جديدة وتنظيم جديد ،ورؤى جديدة ،وإبراز وتطوير قيم المجتمع الكومينالي، وتنظيم نظام ديمقراطي مجتمعي متمثل في (منظومة المجتمع الكردستاني kgk) للمجتمع الكردستاني ،وكنموذج يمكن الاستفادة منه على مستوى العالم.

هذا القائد العظيم الذي أعرب لتحقيق السلام بشتى الوسائل فبادر منذ عام ١٩٩٣ إلى تاريخه بالإعلان عن مبادرات السلام ومن طرف واحد لحل كافة الخلافات بالطرق السلمية فمنها مبادرات السلام المتتالية لحل القضية الكردية ،وذلك في عهد رئاسة الجمهورية التركية (توركوت أوزال ١٩٩٣) ورئيس الوزراء (نجم الدين أربكان١٩٩٥) ورئيس الحكومة (بولند أجاويد ١٩٩٨) ،حيث قام بوقف إطلاق النار من طرف واحد .

واستمرت مبادراته هذه وتلك من (١٩٩٩إلى ٢٠٠٤) وتلاها رسمه لخارطة الطريق ،وبفضل كل هذا وذاك توجهت مجموعة السلام الثانية إلى تركيا في شهر تشرين الأول من عام ٢٠٠٩ ، ولخلق أجواء أنسب للحل السلمي وإضفاء القوة والإيجابية للحوار الجاري مع الحكومة التركية أرسلت مجموعة أخرى من أعضاء حزب العمال الكردستاني إلى تركيا حيث انطلقت من مخيم الشهيد(رستم جودي مخمور(الموصل)) ودخلت إلى تركيا عبر بوابة إبراهيم الخليل.

وإلى جانب هذه الأطروحات والوقفات الطويلة لتحقيق السلام فقد وقف القائد مسهباً في ذلك على مفهوم النقد والنقد الذاتي ،فطوره بشكل مستفيض في ذاته أولاً،ومن ثم ضمن الحركة لدرجة جعل من الحركة ،بأنها حركة النقد والنقد الذاتي،هذا المفهوم الذي جعله وسيلة سلام أساسي من أجل التطور من خلال التدريب ،وتدريب الذات ،هذه وسيلة التي جعلها غذاء لروحه وعقله في إمرالي .

فالقائد آبو طرح الكثير من المفاهيم التي لازمت حياتنا لحظة بلحظة لأنه ترجم كل مفهوم بسمة من سماته وبسلوك من سلوكياته .

فنادى بالعدالة لأنه وكما يقول:"أتيت إلى هذه الدنيا لأطالب بالحق وأظهر الحقيقة ،وأحقق العدالة ،وآخذ الحساب من المجرمين والمذنبين والأعداء".

وهو الذي طالب وبشدة (الاعتماد على القوة الذاتية) وجعله مبدأ مأخوذاً من تجارب الحياة القاسية ومن تاريخ الكرد المأساوي القائم على خيانة القوى العظمة له في القرن المنصرم ،وبيّن

بأن الاعتماد على الذات سواء كان مادياً أو معنوياً يجعل الشخص أو التنظيم أو الأمة صاحب إرادة مستقلة ،والسبيل الأساسي لتحقيق النصر ،وهو الذي أطلق العنان لفلسفته عندما طرح قضية مساواة الجنسين ،هذه القضية التي شغلت باله منذ نعومة أظفاره ،ومع مسيرة نضاله توصل إلى أن حل هذه القضية يعني حل أقدم مشكلة اجتماعية ،ويعني السير على درب الحضارة الديمقراطية ،ولهذا طرح القائد في مشروعه (الكونفيدرالية الديمقراطية) الرئاسة المشتركة ،وفتح المجال في كل المؤسسات على أساس التساوي في الوظائف والمكانة والرواتب.

وحقيقة فالقائد (آبو) وبطرحه لهذه القضية جعل المرأة مقدسة وجعلها أكثر تقديساً عندما حللها وبين دورها في الحضارة مثل الآلهات ، واعطاها قيمتها التي تليق بتاريخها .

والقائد آبو جعل من المقاومة عنوان حياته ،بل زبد روحه فحياته كلها مقاومة ،من مقاومة ضد العادات القديمة ،وضد العائلة ،ضد سياسات الإنكار والإبادة للدولة التركية ،وضد المفاهيم البالية للمجتمع ،ضد كل أشكال الخيانة والتبعية ،إلى مقاومة ضد تأثيرات الحداثة الرأسمالية وعلينا ألا ننسى بأنه كيف جعل من الانضباط حكمة وديمومة في حياته وفي حياة كل رفيق سار مساره ،وكيف لا ؟! وهو من جعل حياته منظمة ومخططة لحيث لا يضيع برهة فيها ،إلى أن ينهي عمله المكلل بالنصر دوماً.

وعلى ضوء ما سبق ،فعندما نقول القائد(آبو) نعني بقولنا القيادة الآبوجية تلك القيادة التي مثلت ، وما تزال تمثل الحرية والديمقراطية والعدالة والمساواة لأجل شعبها والشعوب عامة ،بل هي تلك القيادة التي تهدف لتطوير نموذج القيادة المضطهدة ،وبناء مجتمع سياسي أخلاقي وديمقراطي وإيكولوجي .

فالقائد آبو- وكما يقول -: "من أراد أن يكون معي أو ضدي في البداية عليه أن يتعرف على حقيقتي" ،فحقيقته باتت ظاهرة وبادية للعيان ،فهو تلك الشخصية المعجزة والفريدة من نوعها ، والتي قامت بتطوير العواطف والمشاعر والفكر والأخلاق والجمال ،وتمكّنت من تحقيق ثورتين في كردستان (الانبعاث الوطني والحداثة الديمقراطية) ،وهذه الشخصية التي انشغلت أبداً بالإنسانية وبكيفية ارتقائها ،وحاولت أن تحمي ثقافة الشرق الأوسط وأخوّة شعوبها رفضت حياة الحداثة الرأسمالية ،وبحثت طويلاً عن الحقيقة ،فطوّرت الإيديولوجيا ،والفلسفة ،وتوقفت على الشخصية الكردية والهوية الكردية ،وطالبت بحل القضية الكردية على أسس سلمية وكذلك ، بحل القضايا الإنسانية على ضوء فلسفة الأمة الديمقراطية ،والحداثة الديمقراطية والتي تتمثل صياغتها السياسية في الكونفيدرالية الديمقراطية .